

ترجمة الشيخ عبد القادر المجاوي [1]

تمهيد :

بعد هجرة أكثر العلماء والمجاهدين والأعيان، خلت الديار من أهلها وصارت الدولة للفرنسيين... فاستبد بنفوس الناس جُمود وخُمول خيّم عليه اليأس والقنوط، وصار أكثرُ حالهم كما يروي المُستشرق الفرنسي (جوزيف ديبارمي) عنهم: >>...المُسلم (الجزائري) لا يخرج من داره إلا ذليلاً ومُحجّجاً بالمرأة لأن الشارع فيه حضارة أخرى، وهي حضارة الرومي (الفرنسي)... (المُسلمون أهينوا على يد الكفار

...>>

[2]

).

وفي هذا الظرف البائس كان ذلك... في خبايا الزوايا بعض البقايا، وهُم صنفٌ من العُلماء والمطلبة الذين كانوا يستكملون مُهمّتهم التعليميّة رغم الظروف مُؤثرين البقاء مع الناس على الهجرة.

قال الشيخ محمد بيرم المتونسيّ في (رحلته): >>ومن الأخيّار الذين اجتمعت بهم ومنحوني فضائل أخلاقهم المنّ حرير العالم الشيخ علي بن الحفاف المالكي بقاعدة الجزائر، وهو من تلامذة علامة القطر الإفريقي الشيخ إبراهيم الرياحي، كما أخبرني بذلك عن نفسه، وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة وإطلاع وسعة في الفقه والحديث، وذاكرني في الهجرة فذكرته بأن مثله قليل الوجود في ذلك القطر، وأن بقاءه فيه لتعليم الناس دينهم أنفع للامة وله عند الله تعالى من خروجه برأسه، وأن بقاء تلك الأمة المسلمة خالية عن مثله بل ربما حمل خروجه غيره ممن هو على شاكلته على الخروج فتبقى العامة بلا تعلم لديانتهم، وتضمحل منهم الديانة شيئاً فشيئاً والعيان بالله، بخلاف ما إذا بقي هو وأمثاله فإنّه تنتشر تعاليم الإسلام والفقه، وتبقى الديانة إن شاء الله تعالى محفوظة في الأهالي، وذلك منصوص عليه في كتب فقهاءنا حتّى إن الأسارى إذا لم يمكن فداؤهم جملة فيؤخر منهم العُلماء)

[3]

...>>

[4]

).

وعلى هذا الرأى لم يُهاجر جماعة من العُلماء... وكان من بينهم شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي.

فمن هو عبد القادر المجاوي؟

قالت مجلة الشّهاب (3 8) عند تقيدها لكتاب الجزائر للأستاذ توفيق المدني: >>إنّ الكتاب وضع على الاختصار فما كنّا

لنطالب مؤلفه باستقصاء جميع الرجال . ولكن سكت عن أفراد لنا تكمل الصورة التاريخية لما بهم . منهم العلامة الأستاذ عبد القادر المجاوي — رحمه الله — هذا الرجل هو أبو النهضة العلميّة بقسنطينة ، وهو شيخ الناس بجميع عمالتها ، عليّ تخرج القضاء ورجال المحاكم والتدريس والفتوى فلا تجد واحدا من هؤلاء إلا وهو من تلامذته . ولو كان هذا الرجل من أمة عالمة لأحيت ذكراه في كل مُناسبة ... >> .

مولده ونشأته وطلبه للعلم :

هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد الحسن الجليلي المجاوي نسبة إلى قبيلة بشمال المغرب الأقصى . وُلد بتلمسان سنة 1264 هـ 1848 م في أسرة اشتهرت بالعلم والدين . كان والده فقيها وقاضيا تقلد خطة القضاء بتلمسان خمساً وعشرين سنة ثم في طنجة المغربية . وهُناك وفي تطوان أتم المابن عبد القادر حفظ القرآن الكريم ودراسته الابتدائية .

وفي فاس : التحق عبد القادر بجامع القرويين الذي كان يشهد فترة النهضة والدعوة إلى تجديد طرق التعليم . وهي الإصلاحات التي طرأت على المغرب وتونس بعد احتلال الجزائر واحتكاك المسلمين بالحضارة الغربية .

ومن شيوخه المذنبين تخرج عليهم وتأثر بهم :

المفقيه المشهور محمد العلوي الفاسي . والمشيخ العلامة محمد قنون — محشي الريحوني على خليل — . والعلامة محمد بن سويدة ، والعلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني . وأحمد بن الحاج — محشي المكودي — .

ميدان التربية والتعليم :

في سن 22 عاد إلى الجزائر وحل بقسنطينة سنة 1869 م مُدرّسا بزواياها ومساجدها . ثمّ تصدر للتدريس بجامع الكتاني فأقبل على دروسه الطلاب من جميع النواحي واتسعت شهرته وظهرت كفاءته ومهارته . وتميّزت دروسه ومواعظه بالحيوية وغزارة العلم وقوة التأثير وكان يحرص فيها على الدعوة إلى النهوض بالعلم .

يقول الأستاذ القماري : >> روى (شارل فيرو) أن الأوساط العلميّة بقسنطينة كانت تقول : أن العلم قد انطفأ عند المسلمين بموت سي مصطفى بن جلّول وسي المكي بوطالبي ... وبسبب الإدارة الفرنسية التي حرمت عامة الناس من نور العلم جفت ينابيع العلم الحر وغاضت بحور الفكر . وكاد هذا الليل الطويل ألاّ ينجلي لولا نضحة هبت من المغرب . ونعني بذلك حلول عبد القادر المجاوي للتدريس في أحد المساجد بقسنطينة ... >> [5] .

وفي سنة 1877 م تولّى التدريس بمدرسة قسنطينة وبعد سنة عيّنته الحكومة بمدرسة الجزائر العليا .

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديقي : << لا شك أنّ الحكومة إنّ ما عيّنته في هذه المدارس لتقلل من نشاطه الدينيّ والإصلاحيّ الذي أخذ يوقظ المعقول ويفتح الأبصار ويوجه نحو الطريق القويم . لأن هذا النوع من النشاط أشد ما يهدد الاستعمار ... >> . لكن كما قال الأستاذ القماري : << حقيقة أنّ السلطات الفرنسيّة كانت ترأب هذا التعليم ولما تريده أن يتجاوز مبادئ الفقه والمتوحيد الموجهة للعامّة . ولكن المدرس الماهر ذا الضمير الحر يستطيع أن يوصل رسالته إلى التلاميذ النبهاء والمحاضرين المتطلعين >> [6] .

ويقول أيضا (203) : << كان مسؤولوا هذا التعليم يقاومون سرا وعلانيّة مُستخدمين كلّ الوسائل لتدمير رسالتهم التربويّة . ذلك أنّ التعليم ليس بالقلم والقرطاس فقط . ولكن بالمثل الأعلى والكلمات المعبرة والتوجيه القويم والنصائح الخالصة . وإذا كان الفرنسيون قادرين على مراقبة التعليم العربيّ الإسلاميّ في المساجد والزاويا والمكاتب . فإنهم غير قادرين على مراقبة التربويّة والتوجيه الصالح اللذين يبيتهما المعلمون في تلاميذهم . ومن هؤلاء ستكون البذرة الخيرة للنهضة والحركة الإصلاحيّة >> .

ولذلك لم يقتصر الشيخ المجاوي — رحمه الله — على الدروس النظاميّة فكان من عادته أن يختلط بطلابه خارج الدرس لينفخ فيهم من روحه . وكانت علاقته بهم علاقة أبويّة تقوم على أساس المحبة الخالصة والجهاد العلميّ النافع . فكان بذلك المثال للمعلم والقوة والمربيّ ...

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديقي : << كانت طريقه معهم بهذا الاعتبار يملؤه نور وأمل . نور يكتسح الظلام . وأملٌ يُحضر إلى الأمام رغم فظاعة العهد الاستعماريّ الذي يعيشونه >> .

ومن تلامذته :

الشيخ حمدان الونيسي . وهو من شيوخ ابن باديس الذين كان لهم أكبر الأثر في توجيهه . وتوجيه الحركة العلميّة والإصلاحيّة بقسنطينة . هاجر إلى المدينة النبويّة في أواخر عمره بعدما أدى ما عليه قبل الحرب الأولى وبها توفي ودفن رحمه الله . ومنهم الشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة . والشيخ عبد الكريم باش تارزي مفتي الحنفيّة بقسنطينة . والشيخ حمود الدرّاجي قاضي الحنفيّة بالجزائر ... وغيرهم .

نشاطه ودعوته :

□ □ □ □ □ □ وكان الشيخ المجاوي إضافة إلى مهنة التدريس كثير النشاط في النوادي والجمعيات المعاصرة التي نشطت في أوائل القرن ، وكانت جريدة (كوكب إفريقيا) للشيخ محمود كحول تنقل محاضراته وكتاباتاته إلى قرائها وكذلك جريدة (المغرب) [7] .

□ □ □ □ □ □ وفي سنة 1908 عُيِّن إماماً وخطيباً بجامع سيدي رمضان بالعاصمة ، وكان في دروسه للعامَّة التي انتشرت واستشرت فيها الجهل والخرافة مثالاً للعالم الناصح المشفق . يقول الأستاذ محمد الصالح الصديقي : « كان يوجِّه الأناظر دأباً إلى أن الله تعالى قادر على أن يُعطي كلَّ أحد ما يحتاجه من متع الحياة بلا عمل وكدح ، ولكن حكمة الحياة أن نكافح ونعمل لتكون للحياة لذة وحلاوة ، فالحياة بلا جهاد وكفاح حياة بلا معنى . والجهاد بكلِّ معانيه المادية والمعنوية هو أساس الحياة ، ومناط العز في هذه الأرض ... » . كما دعا إلى محاربة البدع والعمل بالسنة والالتقياد إلى الحق .

□ □ □ □ □ □ يقول محمد الصالح الصديقي : « إنَّه في هذه السعة العلميَّة يُمثل المنزعة للسلفية ويرى أن الاقتداء بالسلف الصالح صيانة الدين والعربية في الجزائر » . وقال أيضاً عن دعوته إلى تعليم المرأة : « خرق كل ما كان يجمع عليه أهل عصره من الفقهاء ، فلم يكتف بالدعوة إلى تعليمها بل دعا إلى تعليمها تعليماً كاملاً » .

وفاته :

□ □ □ □ □ □ بعد حياة طويلة من المصبر والتضحية توفي الشيخ المجاوي يوم السبت 6 أكتوبر 1914 م بقسنطينة ودُفن بها ، وكان يوم دفنه مشهوداً حضره العلماء والمطالبا والأعيان وحشد عظيم من طبقات الناس ، وألقيت خطب وقصائد شعريَّة قيلت في حقه من بينها مرثية بليغة للشيخ ابن باديس ... رحم الله الشيخ المجاوي وجزاه عن عمله خير الجزاء وأجزله .

مؤلفاته :

□ □ □ □ □ □ كثيرة ، وكلها تعليميَّة ، والمطبوع منها : — إرشاد المتعلمين ، — الإفادة لمن يطلب الاستفادة : طبعة الجزائر 1901 ، — الاقتصاد السياسي . — تحفة الأخيار في الجبر والاختيار . — الدرر النحويَّة شرح الشبراوي : طبعة فونتانا ، الجزائر 1907 . — شرح المحمل النحوي : طبعة فونتانا . — شرح شواهد القطر : طبعة قسنطينة . — شرح لامية المجرادية في المسائل النحويَّة : المطبعة البيونيَّة 1894 ، والمجرادية لأبي عبد الله محمد بن مجراد . — شرح منظومة ابن غازي في الوقت . — الفريدة السنوية في الأعمال الجيبية : في الضلك ، طبعة فونتانا 1903 . — القواعد الكلامية . — اللمع في نظم البدع : وهو شرح لمنظومة تلميذه المولود بن الموهوب في البدع . — نزهة الطرف في المعاني والمصرف . — نصيحة المريدين .

□ □ □ □ □ □ هذا ما تسنَّى جمعه من ترجمة الشيخ عبد القادر المجاوي رحمه الله ، وبه تنتهي المقدمة .

المجرائر : صبيحة 22 رمضان 1427 هـ

عادل بن الخليل همال المجرائري

(1) : مُلخصاً بتصرفٍ وإضافة من كتاب «أعلام المغرب العربي» لمحمد الصّالح الصّديق (1 30 — وما بعدها) ، وانظر لترجمته أيضاً كتاب «تعريف الخلف» للحفناوي ، و «نهضة المجرائر الحديثة» لمحمد علي ديوز .

(2) : المتاريخ الثقافيّ (8 132) .

(3) : يعني : بقائهم مع بقيّة المأسورين وفي ذلك تثبيت لهم .

(4) : أعلام المغرب العربيّ (1 30 ، 31) والمقصّّة ذكرها باختصار الحفناويّ في ترجمة عليّ بن الحفاف من كتابه تعريف الخلف . وساق رأي الشيخ الهاملي في مسألة الهجرة .

(5) : المتاريخ الثقافيّ (3 127 ، 128) بتصرف .

(6) : المصدر نفسه (3 128) . [6]

(7) : وقفت له على عناوين المقالات التالية : مشاهير العرب الذين تُضرب بهم الأمثال ، المعاش ، العلم ، العادة ، الطيب العربي قبل الإسلام ، الحلم ، التربيّة ، شهر المولد النبويّ ، الكبر والعجب ، سماحة النفس ، عيد الأضحى أو موسم الحجّ . تعليم الأطفال ، الأربعات ، سلامة الإنسان في حفظ اللسان ...